

الفضل الثاني

الحج مكلفون

obeikandi.com

الغَايَة مِنْ خَلْقِهِمْ

خلق الجن للغاية نفسها التي خلق الإنس من أجلها : (وما خلقت الجن
والإنس إلا ليعبدون) (سورة الذاريات / ٥٦) .

فالجنُّ على ذلك مكلفون بأوامر ونواهي ، فمن أطاع رضي الله عنه
وأدخله الجنة ، ومن عصى وتمرد فله النار ، يدل على ذلك نصوص كثيرة .

ففي يوم القيامة يقول الله مخاطباً كَفَرَةَ الجن والإنس موجهاً مبكثاً :
(يا معشر الجن والإنس ، ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم
لقاء يومكم هذا ؟ قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا ، وشهدوا
على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) (سورة الأنعام / ١٣٠) ففي هذه الآيات
دليل على بلوغ شرع الله الجن ، وأنه قد جاءهم من ينذرهم ويبلغهم .

والدليل على أنهم سيعذبون في النار قوله تعالى : (قال ادخلوا في أمم
قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار) (سورة الاعراف / ٣٨)
وقال (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس) (سورة الاعراف / ١٧٩) .
وقال (لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) (سورة السجدة / ١٣)
والدليل على أن المؤمنين من الجن يدخلون الجنة قوله تعالى : (ولمن خاف مقام
ربه جنتان ، فبأي آلاء ربكما تكذبان) (سورة الرحمن / ٤٦ - ٤٧) .

والخطاب هنا للجن والإنس لأن الحديث في مطلع السورة معهما
وفي الآية السابقة امتتان من الله على مؤمني الجن بأنهم سيدخلون الجنة ولولا
أنهم ينالون ذلك لما امتن عليهم به . يقول ابن مفلح في كتابه الفروع : (الجن
مكلفون في الجملة إجماعاً ، يدخل كافرهم النار إجماعاً ، ويدخل مؤمنهم

الجنة وفاقاً لمالك والشافعي رضي الله عنهما ، لا أنهم يصيرون تراباً كالبهائم ، وإن ثواب مؤمنهم النجاة من النار خلافاً لأبي حنيفة ، والليث بن سعد ومن وافقهما ، قال : وظاهر الأول أنهم في الجنة كغيرهم بقدر ثوابهم ، خلافاً لمن قال لا يأكلون ولا يشربون فيها كمجاهد ، أو أنهم في ربض الجنة ، أي حول الجنة كعمر بن عبد العزيز ، قال ابن حامد في كتابه : « الجن كالإنس في التكليف والعبادات » (لوامع الأنوار ٢ / ٢٢٢ - ٢٢٣) .

تكليفهم بحسبهم :

يقول ابن تيمية (مجموع الفتاوى ٤ / ٢٣٣) : « الجن مأمورون بالأصول والفروع بحسبهم ، فإنهم ليسوا بمماثلين للإنس في الحدّ والحقيقة ، فلا يكون ما أمروا به ونهوا عنه مساوياً لما على الإنس في الحدّ ، لكنهم مشاركون الإنس في جنس التكليف بالأمر والنهي ، والتحليل والتحریم ، وهذا ما لم أعلم فيه نزاعاً بين المسلمين » .

شبهة وجوابها :

يورد بعض الناس شبهة فيقولون : أتمّ تقررون أن الجن خلقوا من نار ، ثمّ تقولون إن كافرهم يعذب في نار جهنم ، ومسترق السمع منهم يقذف بشبه من نار ، فكيف تؤثر النار فيهم وقد خلقوا منها ؟

والجواب أنّ الأصل الذي خلقوا منه النار ، أمّا بعد خلقهم فليسوا كذلك ، إذ أصبحوا خلقاً مخالفاً للنار ، يوضح هذا أن الإنسان خلق من تراب ، ثم بعد إيجاده أصبح مخالفاً للتراب ، ولو ضربت إنساناً بقطعة مشوية من الطين فقد تقتله ولو رميته بالتراب لآذاه ، ولو دفنته فيه فإنه يخنق ، فع أنه من تراب إلا أن التراب يؤذيه ، فكذلك الجن .

لا نسب بين الجن ورب العزة :

هذا الذي ذكرناه من أن الجن خلق من خلق الله ، وعباد من جملة عباده ،

خلقهم لطاعته ، وكلفهم بشرعته ، يقضي على الخرافات التي تنشأ عن الانحراف في التصور ، وعن ضمور العلم وكثرة الجهل ، فن ذلك ما شاع عند اليهود ومشركي العرب ، من أن الله - تعالى وتقدس - خطب من سروات الجن وتزوج منهم ، وكان الملائكة ثمرة هذا الزواج ، وقد حكى الله هذه الخرافة وبين بطلانها (وجعلوا بينه وبين الجنة نسا ، ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون ، سبحانه الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين) (سورة الصافات ١٥٨ - ١٦٠) قال ابن كثير عند تفسير هذه الآيات : (قال مجاهد : قال المشركون : الملائكة بنات الله - تعالى عما يقولون - فقال أبو بكر - رضي الله عنه - فن أمهاتهن ؟ قالوا : بنات سروات الجن ، وبمثل قول مجاهد قال قتادة وابن زيد . . . وقال العوفي عن ابن عباس : « زعم أعداء الله أنه - تبارك وتعالى - هو وإبليس أخوان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً » .

كيف يبلغون وحي الله إليهم ؟

بما أنهم مكلفون فلا بد أن يبلغهم الله وحيه ويقم عليهم الحجة ، فكيف حصل ذلك ؟ هل لهم رسل منهم كما للبشر رسل منهم ، أم أن رسلهم هم رسل البشر ؟ .

إن قوله تعالى : (يا معشر الجن والإنس ألم يأتيكم رسل منكم ... ؟) (سورة الأنعام / ١٣٠) يدل على أن الله أرسل إليهم رسلاً ، ولكنها لم تصرح بأن هؤلاء الرسل من الجن أو من الإنس ؛ لأن قوله (منكم) يحتمل كلا الأمرين ؛ فقد يكون المراد أن رسل كل جنس منهم ، وقد يراد أن رسل الإنس والجن من مجموع الجنسين فيصدق على أحدهما وهم الإنس . وقد اختلف العلماء في ذلك على قولين ، الأول : أن للجن رسلاً منهم ، ومن قال بهذا القول الضحاك ، وقال ابن الجوزي : وهو ظاهر الكلام . وقال ابن حزم لم يبعث إلى الجن نبي من الإنس البتة قبل محمد ﷺ .

الثاني : أن رسل الجن من الإنس قال السيوطي في (لقط المرجان) :
(جمهور العلماء سلفاً وخلفاً على أنه لم يكن من الجن قط رسول ولا نبي
كذا روي عن ابن عباس ومجاهد والكلبي وأبي عبيد) .

(لوامع الأنوار / ٢ / ٢٢٣ - ٢٢٤)

ومما يرجح أن رسل الإنس هم رسل الجن قول الجن عند سماع القرآن :
(إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى) (سورة الأحقاف / ٣٠) ولكنه ليس
نصاً في المسألة .

وهذه المسألة لا يبنى عليها عمل ، وليس فيها نص قاطع ، ولذلك لا ينبغي
أن نطيل فيها أكثر من ذلك .

عموم رسالة محمد - ﷺ - الإنس والجن :

محمد - ﷺ - مرسل إلى الجن والإنس ، يقول ابن تيمية (مجموع
الفتاوى ١٩ / ٩) : (وهذا أصل متفق عليه بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان
وأئمة المسلمين ، وسائر طوائف المسلمين : أهل السنة والجماعة ، وغيرهم -
رضي الله عنهم - أجمعين) يدل على ذلك تحدي القرآن الجن والإنس .

(قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون
بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (سورة الاسراء / ٨٨) . وقد سارع فريق من
الجن إلى الإيمان عندما استمعوا القرآن (قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن ،
فقالوا : إنا سمعنا قرآنا عجيباً ، يهدي إلى الرشد فآمننا به ، ولن نشرك بربنا
أحداً . . .) (سورة الجن / ١ - ٢) .

وهؤلاء الذين استمعوا القرآن وآمنوا هم المذكورون في سورة الأحقاف :
(وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا :
أنصتوا ، فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين ، قالوا : يا قومنا إنا سمعنا كتاباً
أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه ، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ،

يا قومنا أجيئوا داعي الله ، وآمنوا به ، يغفر لكم من ذنوبكم ، ويحرمكم من عذاب أليم ، ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض ، وليس له من دونه أولياء ، أولئك في ضلال مبين) (سورة الأحقاف / ٢٩ - ٣٢) استمعوا للقرآن ، وآمنوا به ، ورجعوا دعاة يدعون قومهم إلى التوحيد والإيمان ، ويبشرونهم وينذرونهم .

وقصة هؤلاء الذين استمعوا للرسول - ﷺ - يرويها البخاري ومسلم عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : « انطلق رسول الله - ﷺ - في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : ما لكم ؟ فقالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب . قالوا : ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها ، وانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاريها يتتغون ما هذا الذي حال بينهم وبين خبر السماء .. ، فانصرف أولئك النفر الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله - ﷺ - وهو بنخلة عامداً إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن - قالوا : استمعوا له ، فقالوا : هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء ، فهناك حين رجعوا إلى قومهم وقالوا : يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فأمننا به .

وأُنزل الله على نبيه (قل أوحى إليّ أنه استمع نفر من الجن) (سورة الجن / ١) وإنما أوحى إليه قول الجن .

وفود الجن :

تلك كانت بداية معرفة الجن برسالة محمد ﷺ ، استمعوا لقراءة القرآن بدون علم الرسول ﷺ ، فآمن فريق منهم وانطلقوا دعاة هداة . ثم جاءت وفود الجن بعد ذلك تتلقى العلم من الرسول ﷺ ،

وأعطاهم الرسول - ﷺ - من وقته ، وعلمهم مما علمه الله ، وقرأ عليهم القرآن ، وبلغهم خبر السماء ... وكان ذلك في مكة قبل الهجرة ؛ روى مسلم في صحيحه وأحمد في مسنده عن علقمة قال : قلت لعبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - : هل صحب رسول الله - ﷺ - ليلة الجن منكم أحد ؟ فقال : ما صحبه منا أحد ، ولكننا فقدناه ذات ليلة بمكة ، فقلنا : اغتيل ؟ استطير ؟ ما فعل ؟ قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، فلما كان وجه الصبح - أو قال - في السحر إذا نحن به يجيء من قبل حراء ، فقلنا يا رسول الله ، فذكروا له الذي كانوا فيه ، فقال : « إنّه أتاني داعي الجن فأتيتهم فقرأت عليهم » قال : فانطلق ، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وفي رواية عن الطبري عن ابن مسعود : « بت الليلة أقرأ على الجن واقفاً بالحجون » .

ومما قرأه عليهم - ﷺ - سورة الرحمن ، يقول ﷺ : « لقد قرأتها (يعني سورة الرحمن) على الجن ليلة الجن ، فكانوا أحسن مردوداً منكم ، كنت كلما أتيت على قوله : (فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟) قالوا : ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب ، فلك الحمد » رواه البزار والحاكم وابن جرير بإسناد صحيح (الجامع الصحيح ١ / ٣٠) .

ولم تكن تلك الليلة هي الليلة الوحيدة بل تكرر لقاءه - ﷺ - بالجن بعد ذلك ، وقد ساق ابن كثير في تفسير سورة الأحقاف - الأحاديث التي وردت بشأن اجتماعه ﷺ بالجن ، وفي بعضها أن ابن مسعود كان قريباً من الرسول - ﷺ - في إحدى تلك الليالي .

- وقد ورد في بعض الروايات في صحيح البخاري أن بعض الجن الذين أتوه كانوا من ناحية من نواحي اليمن من مكان يسمى (نصيبين) ، فقد روى البخاري عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال : « أتاني وفد نصيبين - ونعم الجن - فسألوني الزاد ، فدعوت الله لهم ألا يمروا بعظم ولا روثة إلا وجدوا عليها طعاماً » .

دعوتهم للإنس :

وفي بعض الأحاديث الصحاح أنَّ بعض الجن كان له دور في هداية الإنس ، ففي صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب سأل رجلاً كان كاهناً في الجاهلية عن أعجب ما جاءته به جنيته . قال : « بينما أنا يوماً في السوق جاءني أعرف فيها الفزع فقالت :

ألم تر الجنَّ وإبلاسها ويأسها بعد إنكاسها
ولحقوها بالقلاص وأحلاسها^(١)

قال عمر - رضي الله عنه - صدق ، بينما أنا نائم عند آلهتهم إذ جاء رجل بعجل ، فذبحه ، فصرخ به صارخ لم أسمع صارخاً قط أشد صوتاً منه ، يقول : يا جليح ، أمر نجيح ، رجل فصيح ، يقول : لا إله إلا الله ، قال : فوثب القوم ، فقلت : لا أبرح حتى أعلم علم ما وراء هذا ، ثم نادى : يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول : لا إله إلا الله ، فقامت فما نشبنا أن قيل هذا نبي . قال ابن كثير في تفسير سورة الأحقاف بعد أن ساق هذا الحديث : « هذا سياق البخاري ، وقد رواه البيهقي من حديث ابن وهب بنحوه ، ثم قال : وظاهر هذه الرواية بوجه أن عمر - رضي الله عنه - بنفسه سمع الصارخ يصرخ من العجل الذي ذبح ، وكذلك هو صريح في رواية ضعيفة عن عمر رضي الله عنه ، وسائر الروايات تدل على أن الكاهن هو الذي أخبر بذلك عن رؤيته وسماعه ، والله أعلم ، ثم قال : وهذا الرجل (الكاهن) هو سواد بن قارب . »

أمرهم بالخير وشهادتهم للمسلم :

سياًتي الحديث الذي يخبر فيه الرسول - ﷺ - بأن قرينه من الجن أسلم

(١) الإبلاس : اليأس ، والحزن ، والانكسار . والأنكاس : الضعف ، والهوان ؛ والقلاص : جمع قلوص ، وهي الناقة الشابة ، والحلس : ما يوضع فوق ظهر الدابة كالسرج .

فلا يأمره إلا بخير .

وقد قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه لأبي صعصعة الأنصاري :
(إني أراك تحب البادية والغم ، فإذا كنت في غنمك وباديتك فأذنت بالصلاة
فارفع صوتك بالنداء ، فإنه لا يسمع مدى صوت المؤذن جنٌ ولا إنس ولا
شيء إلا شهد له يوم القيامة) ، قال أبو سعيد : سمعته من رسول الله ﷺ
(رواه البخاري) . فقد أخبر أن الجن يشهدون يوم القيامة لمن يسمعون صوت
أذانه .

مراتبهم في الصلاح والفساد :

وهم في هذا طوائف : فمنهم الكامل في الاستقامة والطيبة وعمل الخير ،
ومنهم من هو دون ذلك ، ومنهم البله المغفلون ، ومنهم الكفرة ، وهم الكثرة
الكاثرة ، يقول الله سبحانه في حكايته عن الجن الذين استمعوا إلى القرآن :
(وأنا من الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قدداً) (سورة الجن / ١١) ،
أي منهم الكاملون في الصلاح ؛ ومنهم أقل صلاحاً ، فهم مذاهب مختلفة
كما هو حال البشر .

ويقول الله عنهم : (وأنا من المسلمون ، ومنا القاسطون ، فمن أسلم
فأولئك تحروا رشداً ، وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً) (سورة الجن
١٤ - ١٥) ، أي أن منهم المسلمين ، والظالمين أنفسهم بالكفر ، فمن أسلم
منهم فقد قصد الهدى بعمله ، ومن ظلم نفسه فهو حطب جهنم .

طبيعة الشيطان :

أعطى الله الجن القدرة على الإيمان والكفر ، ولذلك كان الشيطان عبداً
مع الملائكة ثم كفر .

فلما تحول إلى الكفر ورضي به أصبح محبباً للشر طالباً له ، يتلذذ بفعله
والدعوة إليه ، ويحرص عليه بمقتضى خبث نفسه ، وإن كان موجباً لعذابه .

(قال فبِعزتك لاغوينهم اجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين) . (سورة ص / ٨٢ ، ٨٣) .

وهذا يكون في الإنسان ، فالإنسان إذا فسدت نفسه أو مزاجه يشتهي ما يضره ، ويلتذ به ، بل يعشق ذلك عشقاً يفسد عقله ودينه وخلقه وبدنه وماله ، وحسبك أن تتأمل في حال شارب الخمر والدخان ، فإن هذين يقتلان شاريهما ، ويفتكان بهما ، ولا يستطيعان منهما خلاصاً إلا بشق الأنفس .

هل يسلم الشيطان ؟

يظهر من الحديث (١) أن الشيطان يمكن أن يسلم بدليل أن شيطان الرسول - ﷺ - أسلم ، إلا أن بعض العلماء يرفض ذلك ويقول الشيطان لا يكون مؤمناً ، منهم شارح الطحاوية (ص ٤٣٩) ووجه قوله : (فأسلم) أي فانقاد واستسلم .

وبعض العلماء يرى أن الرواية (فأسلم) برفع الميم ، أي فأنا أسلمُ منه ، ومع أن شارح الطحاوية يرى أن رواية الرفع تحريف للفظ إلا أنه النووي في شرحه على مسلم قال : « هما روايتان مشهورتان » وعزى إلى الخطابي أنه رجح رواية الضم .

ومن يرى أن الشيطان يمكن أن يسلم ابن حبان ، قال معلقاً على الحديث : (في هذا الخبر دليل على أن شيطان المصطفى - ﷺ - أسلم حتى أنه لم يكن يأمره إلا بخير ، إلا أنه كان يسلم منه وإن كان كافراً) .

وما ذهب إليه شارح الطحاوية من أن الشيطان لا يكون إلا كافراً فيه نظر ، فإن كان يرى أن الشيطان لا يطلق إلا على كافر الجن فهذا صحيح ، وإن كان يرى أن الشيطان لا يمكن أن يتحول إلى الإسلام فهو بعيد جداً ، والحديث حجة عليه .

(١) سيأتي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يخبر فيه أن الله أعانه على شيطانه فأسلم فلا يأمره إلا بخير ،